اهمية مصر في الحروب الصليبية

م.د. رعد يونس عباس

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الاولى

المقدمة

يتناول هذا البحث اهمية مصر في الحروب الصليبية وهي التي تحكمها الخلافة الفاطمية ، وفي حقيقة الامر فأن تصور الماضي وتمثله امر تعترضه الصعاب ليس في تضارب الاخبار وقلتها فقط ،وانما في اعادة كتابة التاريخ لانه عمل سياسي بالدرجة الاساس، وعلية فان الكتابة عن مصر واهميتها قبل الخلافة الفاطمية وقبيل الحروب الصليبية امر في غاية الاهمية لأنه سيتطرق بشكل او بأخر الى وضعها الداخلي الذي لم يكن للخلافة اي دور فيه لأن الدولة الجمالية قد سيطرت على كل مقدرات الدولة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ولم يكن الخليفة الفاطمي في تلك المرحلة الا كما كان الخلفاء العباسيون في بغداد تحت نفوذ البويهيين والسلاجقة ،وكل ذلك قد بدء سنة (466هـ/1074م) حيث برز دور الوزراء على حساب الخلفاء وأضحى امير الجيوش، وهو اللقب الذي اتخذه وزراء التفويض ارباب السيوف ،وهو الحاكم الفعلي في الدولة وتراجع نفوذ الأئمة حتى اضحوا مجرد رمز او دمى في يد الوزراء وقد قسمت بحثي الى عدة مباحث.

1-المبحث الاول :تناولت فيه الصراع السياسي في مصر قبيل الحروب الصليبية وما تركه من اثر في انشغالهم عن تقدير حجم الكارثة التي ستحل بالأمة الاسلامية وبأملاكهم في بلاد الشام .

2- وتطرقت في المبحث الثاني الى اهمية مصر الاقتصادية وما كانت تمثله من ثروات عملاقة اغرت على مر العصور كل القوى الكبرى في المنطقة من السيطرة عليها.

3- وتكلمت في المبحث الثالث عن تحرك ملك بيت المقدس عموري الاول الى مصر ومحاولة احتلالها، ومن ثم استعانة شاور بنور الدين وهكذا تعاقبت الحملات الثلاثة حتى تمت السيطرة على مصر.

4- واستعرضت في المبحث الرابع ضم مصر الى بلاد الشام وما تعنيه تلك الوحدة على الاوضاع في المنطقة ونهاية الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الايوبي .

المبحث الاول :الصراع في مصر قبيل الحروب الصليبية

كانت الصراعات في مصر قبيل الحروب الصليبية على اشدها مما ادى الى حدوث الارباك في الحياة السياسية المصرية عشية الغزو الصليبي لها وكانت ابرز هذه الصراعات بين المتنفذين في القصر الفاطمي بعد وفاة الملك الظاهر الذي ترك ابنه المستنصر صغيراً لم يكن بأستطاعته ادارة البلاد مما اطلق يد امه في الحكم[1] ولم تستطيع ادارة البلاد فبدأ في عصرها ظهور التمييز العنصري بين الجنود الاتراك والجنود العبيديه لتقريبها الوزير ابا سعيد التستري اكثر من غيره مما ادى الى تدبير مؤامرة ادت الى مقتل ابي سعيد[2].وكان مقتل ابي سعيد سبباً في اثارة غضب ام المستنصر التي قربت الجنود العبيد على حساب الاتراك[3]،الامر الذي ترك باب الخلافات مفتوحاً بين الجانبين[4]، مما أدى بمرور الوقت الى هدر أموال البلاد واضعاف الجيش الفاطمي ويقول المؤرخون ان المستنصر هو اول من اشعل التصادم بين الطرفين عندما قام بقتل احد الجنود الاتراك بعد ان رفع سيفه على مجموعة من العبيد مما ادى بالاتراك بالهجوم على العبيد [5]ويورد لنا صاحب اتعاظ الحنفاء رواية فيها شيء من الغرابة اذ يقول(انه كان يخرج كل عام بنزهه مشابهة في غير موسم الحج على سبيل الهزل والضحك ويلبس لباس الحجاج وكأنه يريد الحج ويحمل معة الخمور بدلاً من الماء والطبول والمغنين والراقصين وكانت احدى هذه الجولات الشرارة التي اشعلت الفتن والحروب[6] ونحن نرى بأن هذا لم يحصل ولكن ان دل على شئ فانه يدل على ان الروح العنصرية الطائفية كانت طاغية في هذا الوقت بشكل واسع بين الاتراك والعبيد وعدم امكانية الحكام الفاطميين في السيطرة على الوضع.

واستمرت الاتهامات تكال الى المستنصر بالله الفاطمي من قبل الجنود الاتراك بانهيقف الى جانب الجنود العبيد وتزويدهم بالمال والسلاح فقاموا بهجوم ضده في قصره، واجبروه على دفع مبالغ كبيرة[7]مما ادى الى انعدام الثقة بين المستنصر بالله ووزرائه لتدهور حالة البلاد السياسية والاقتصادية، فقد اصبح تعيين الوزير وأعفاءه من الامور الشائعة في ذلك الوقت وقد ذكر لنا المقريزي هذه الحالة بقوله (فكان الواحد منهم لا يلبث ان يأتيه كتاب تعيينه في منصب حتى يأتيه كتاب عزلة عنها[8].

ويذكر لنا احد المؤرخين بانه خلال اربع سنوات تم تعيين عشرين وزيراً مما جعل الامر في غاية الخطورة في ظل هذا الحكم الضعيف[9] اضف الى ذلك تردي الاوضاع السياسية فقد ضربت البلاد ازمة اقتصادية واستمرت ما يقارب السبع سنوات[10] ادت الى كوارث اقتصادية مدمرة بسبب انخفاض مناسيب مياه نهر النيل وضعف الحكم القائم واضطراب الاوضاع السياسية[11] ، وقد ذكر المؤرخون روايات فيها نوع من المبالغة في بعض الحوادث التي حدثت ومما ذكره ابن خلكان بقوله (حدثت في ايام المستنصر بالله الغلاء العظيم الذي ما عهد قبله منذ زمن سيدنا يوسف عليه السلام حتى قيل انه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً)[12].

ويتحدث لنا صاحب كتاب النجوم الزاهرة في احداث 459هـ/1067م بقوله (وفيها كان بمصر الغلاء والقحط المتواتر الذي خرج عن الحد ولا زال في هذه السنة والتي قبلها الى ان اخذ امره في النقصان في سنة 461هـ/1069م وبيع القمح في هذه السنة بثمانين ديناراً[13]، وقد اشارعدد من المؤرخين الى حوادث سنة 462هـ/1070م وما اصاب مصر من غلاء حتى وصل الحال بالناس الى اكل الميتات والجيف والكلاب[14]واشار المقريزي الى تلك السنة بقوله (واشتد الغلاء بمصر وقلت الاقوات في الاعمال وعظم الفساد والضرر والجوع حتى اكل الناس الجيف والميتات ووقفوا في الطرق يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما علية[15] ، وتدهور الوضع الى الاسوء فالواحد منهم لم يعد يستطيع الخروج من داره ليلاً نتيجة هذه الاعمال المروعة وتجاوز ذلك الى نبش قبور المسلمين مما حدا بالناس الى دفن موتاهم ليلاً حتى لا يراهم احد[16]، واخذت ظاهرة البيع والشراء بالحيوانات المحرمة تنتشر بحيث اصبحت من المسائل الشائعة فقد وصل سعر القط الى ثلاثة دنانير وسعر الكلب الى خمسة دنانير[17]ومع اننا نستبعد حدوث مثل تلك الاعمال ونجدها مبالغا فيها ولكنها توضح لنا مدى الكوارث التي حلت بمصرفي ذلك الوقت) وتدهورت الاوضاع السياسية ونظم الحكم وشملت كل رجال الدولة الفاطمية فلم يقتصر ذلك على الاهالي بل ان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله شوهد وهو يجلس على حصيرة ولا يستطيع توفير الطعام لنسائه[18] ،وعلينا ان لا ننسى ما كان للتجار من دور كبير في رفع سعر المواد الغذائية منها نتيجة العمليات الاحتكار التي كانوا يمارسونها مما ادى بالنتيجة الى ارتفاع اسعارها[19]، والمواد الغذائية كانت متوفرة في الاسواق ولكنها كانت تحت رحمة التجار ومضارباتهم الامر الذي حدا بالناس الهجوم على الوالي الفاطمي لوضع حد لهذه

الاوضاع[20] ، ونتيجة لما تعرض له المستنصر بالله الفاطمي من ضغوط قام باستدعاء الامير بدر الجمالي، لعل والي عكا لديه ما يقدمه لايجاد حلول للازمة الاقتصادية التي تضرب بأحوال مصر[21].وتقلد بدر الجمالي[22]الوزارة بعد وصوله مباشرة[23]،وقد جاء في أمر توليته مايأتي: (وقد قلدك امير المؤمنين جميع جوانب تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريه[24] ، واصبح بدر الجمالي الامر الناهي واضحت كل مقاليد الحكم بيده فبدأ بالتخلص من كل المعارضين لة[25]، الامر الذي يبدأ صفحة جديدة من صفحات الصراعات حول الوزارة المستنصر بالله الفاطمي سنة 487هـ/1094م[26] .وتولى الوزارة بعد بدر الجمالي ابنه الافضل الذي اخذ يتدخل بأمور الحكم بشكل سافر فقد عمد الى ابعاد ابن المستنصر نزار ووضع مكانه اخوه الصغير احمد ولقبه المستعلي[27] الذي ادى الى صراعات داخلية جديدة في وقت صعب بحد ذاته بن الافضل ونزار الذي وقف الى جانبه اهالي الاسكندرية وبايعوه ولقب بالمصطفى[28] ورغم ان هذه الفتنة تم انهاؤها الا انها الحقت كوارث جديدة في الاسكندرية وسكانها[29]،وادت هذه الحروب والاضطرابات الى هدر بأموال الدولة وهذا ما ذكره ابن تغري بردي عندما تكلم عن الدولة الفاطمية وامورها المرتبكة ، بقوله (ووهنت دولتهم وانقطعت دعوتهم ، ولم يكن للمستعلي مع الافضل امير الجيوش حكم[30])وعليه

يمكننا القول بان الدولة الفاطمية كانت تسير الى النهاية بسبب الخلافات والانقسامات الداخلية وما تركته الازمة الاقتصادية من اثار سلبية.

المبحث الثاني :اهمية مصر الاقتصادية

1- الزراعة

اولى الفاطميون الزراعة اهمية كبيرة على اعتبار انها من اهم مصادر الثروة في مصر ووصلت مساحة الاراضي الزراعية في العهد الفاطمي الاول الى 285/714 فدانا[31] ، فيما تناقصت الاراضي المزروعة او كادت تنعدم في العصر الفاطمي الثاني نتيجة الاهمال من قبل الحكام في ذلك الوقت ،اضافة الى ما كان يعانيه الفلاح من جور النظام الاقطاعي الذي كان سائداً في مصر ، فالملتزم كان لا يتورع ان يثقل كاهل الفلاحين وإرهاقهم بالضرائب الباهظة لكي يتمكن من تسديد ما عليه من مال الخراج ويحتفظ لنفسه بما زاد عن ذلك[32]، وقد حاول الفاطميون ادخال التعديلات على النظام الاقطاعي الامر الذي ادى الى المساهمة في عمارة الارض مما زاد في انتاجية الارض ،

ومن الامثلة على ذلك ان الوزير الافضل بن بدر الجمالي عندما بلغته الشكاوي على الاقطاعيين ، أمر بحل جميع الاقطاعات واعاد توزيعها دون ان يتعرض للاراضي المملوكة[33]وكان اكثر المقطعين في ذلك الوقت من الاجناد فسمح لهم الافضل بأن يشغلوا اقطاعاتهم لمدة ثلاثين سنة، مما ادى الى زيادة خراج مصر الى اكثر من ثلاثة ملايين دينار[34] ،كما اهتم الفاطميون بمقاييس نهر النيل لأنها أشبه بميزان الرخاء او الكساد فاذا زاد منسوب المياه الى ستة عشر ذراعاً استبشر المصريون خيراً بوفرة المحاصيل اما اذا بلغ ثمانية عشر ذراعاً كان ذلك ينذر بحدوث الفيضان ،وفي حال نقص الماء عن اربعة عشر ذراعاً كان يعني القحط وما يصاحبه من ازمات اقتصادية كما اسلفنا سابقاً سنة 457هـ/1065م في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[35] ،وقد اعتنى الفاطميون بالزراعة عناية كبيرة اذ انشؤوا ادارة خاصة تشرف على امورها واستحدثوا مشاريع زراعية عظيمة الاهمية مثل الخليج الذي اشرف على حفره ابو المنجا متولي لري الاراضي الواقعة في شرق فرع دمياط[36].

اولاً: المحاصيل الزراعية:

تنوعت المحاصيل الزراعية في مصر في العصر الفاطمي ،ومن اهمها القمح الذي يؤلف المحصول الرئيس في البلاد ، وكانت زراعته تشمل الجزء الاكبر من الاراضي الصالحة للزراعة ثم الشعير الذي يأتي بالمرتبة الثانية ، وتليها زراعة الكتان الذي كان يزرع في الاراضي المنخفضة التي تكون مغمورة بالمياه مدة طويلة ، فالدلتا والفيومة وتوسعوا في زراعة قصب السكر ، بالاضافة الى زراعة الحمص والعدس والبرسيم والبصل والثوم والسمسم ، وكانت تعرف بالمحاصيل الشتوية و اما المحاصيل الصيفية فقد كانت تقتصر زراعتها على الاراضي التي تقع بمحاذاة نهر النيل[37].

ثانياً : الصناعة

ازدهرت الصناعة في زمن العصر الفاطمي نتيجة للاستقرار ، باستثناء اوقات الاحداث وكان من اشهر الصناعات في مصر الكتانية نتيجة لوفرة الكتان[38] ،وفي ذلك يقول الثعالبي (ان القطن لخرسان والكتان لمصر[39]) واشتهرت ايضاً صناعة الاقمشة الصوفية ووصلت الى مرحلة متقدمة من الرقي ، وكانت بعض المنسوجات تصدرالى بلاد فارس وعرفت عندهم بأسم المصري[41]، وكانت القاهرة في عهد الفاطميين من اهم مراكز صناعة المنسوجات الحريرية وقد بنى فيها المعز دار الكسوة

وقد كانت تفصل الثياب لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم ،وفي هذه الدار امر المعز ان تصنع كسوة الكعبة الشريفة ، وكذلك كان يصنع فيها الخلع التي يمنحها الخلفاء للوزراء والامراء والاشراف في عيد الفطر ، وانشؤوا مصانع عديدة لانتاج الانواع الفاخرة، وكانت دار الديباج[41] في عهد الافضل بن بدر الجمالي تنتج نوعاً من الحرير يعرف بالحرير الديباج كما ان خزانة البنود التي بناها الخليفة الظاهر كان فيها ثلاثة الاف صانع لصنع افخر انواع الثياب[42]وازدهرت صناعة حفر الخشب حتى بلغت الغاية في هذا العصر ،وابدع الفاطميون في نقش الفروع النباتية واوراق الاشجار ورسوم الحيوانات والطيور ، ويرجع ذلك الى الاقباط ،ومن روائع التحف الخشبية الفاطمية المحاريث الثلاثة بدار الاثار العربية بالقاهرة ، في الجامع الازهر والاخر في جامع السيدة نفيسة والثالث بجامع السيدة رقية[43]. .

ومن الصناعات التي لقيت رواجاً كبيراً في هذا العصر صناعة الورق واشهرها ورق البردي، وانتشرت في طبرية ودمشق وطرابلس[44]،والورق المنصوري وكان من اجود الانواع ومن مراكزه الفسطاط[45]،وصاحب صناعة الورق التقدم في تجليد الكتب من الجلود والحرير والاطلس لتجليد المصاحف بصفة خاصة[46]، وتقدمت صناعة الزجاج وصدرت مصر هذه الصناعات الى بلاد الشرق والغرب، اما الخزف فكانوا يصنعون فيه انواعا مختلفة ، وبلغ من انتشار استعماله في مصر ان البقالين كانوا يصنعون ما يبيعونه في اوان من الخزف بدلاً من الورق[47]، وكذلك برع اهل مصر في صناعة المعادن على مختلف انواعها ، وراجت صناعة السكر رواجاً كبيراً[48] واشتهرت صناعة الزيوت من الزيتون والسمسم ،ورافق ذلك صناعة الشمع والصابون[49] .

ثالثاً: التجارة

ازدهرت التجارة في العصر الفاطمي على الصعيد بين الداخلي والخارجي، واصبحت بعض المدن المصرية مراكز تجارية يفد اليها التجار وتقصدها المراكب وتقام بها الاسواق لبيع السلع، ومن هذه المراكز الفرما ومدينة بلبيس والاسكندرية [50] وبرزت مدينة الفسطاط كأهم مركز تجاري في مصر في ذلك العصر لتوسطها بين الوجهين القبلي والحجري ،واتصالها بكافة البلاد المصرية عن طريق النيل ، اضف الى ذلك كونها نقطه انطلاق لطرق برية تسير فيها القوافل متجهه نحو الحجاز وبلاد الشام والمغرب[51]، مما ادى الى رخائها نتيجة لكثرة المتاجر والاسواق فقد كانت ترد لها

تجارة الشام والمغرب والعراق والمشرق، وكذلك كانت تأتيها المراكب من الجزيرة وبلاد الروم[52]،ولم يؤثر بناء القاهرة على مكانة الفسطاط وذلك لكون القاهرة ظلت اشبه بمعسكر يقيم فيه الجنود والموظفون ، مما جعل الاسعار في الفسطاط اقل منها في حاضرة الخلافة الفاطمية[53] وأزدهرت مدينة دمياط في التجارة والصناعة وغدت دمياط الميناء المصري الوحيد في الجزء الشرقي من البحر المتوسط ، واشتهرت اسوان بسبب توجه تجارة النوبة السودان اليها ، وأزدهرت مدينة عيذاب في هذا العصر بعد تحول طريق التجارة الفاطمية بأتجاه الجنوب نتيجة لأشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة ، وأستيلاء الصليبيين على ايلة في 510هـ/1161م54،وشهدت التجارة الخارجية الفاطمية مكانة كبيرة بمصر فقد اتسعت مع البلاد الاسيوية والاوربية ، وكانت مصر تستورد كثيرآ من غلات الهند والصين ،وكذلك استوردت الخشب والحديد من بعض الدول الاوربية وأضحت الاسكندرية من المراكز الرئيسية للتجارة فتنقل منها البضائع الاسيوية الى اوربا وترجع السفن من اوربا محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية ولم تكتف مصر بأن تكون طريقآ لمرور الغلات الاسيوية ، وانما كان لديها ما تصدرة الى البلاد الاوربية كالنطرون والشب والمنسوجات على اختلاف في انواعها[55]وعلى الرغم من كون العلاقات المصرية البيزنطية كانت سيئة الا ان العلاقات التجارية بين الدولتين لم تتوقف[56] وكانت العلاقات التجارية بين مصر وصقلية ، وثيقة من العصر الفاطمي ، فكان التجار يعاملون معاملة ممتازة ،وعقد الخليفة الفاطمي معاهدة تجارية بينه وبين رودجر صاحب صقلية[57]، وكانت العلاقات طبيعية بين مصر وبلاد النوبة ،وكانوا يتبادلون الهدايا فيما بينهم ويعقدون المعاهدات[58] ،وكذلك كانت العلاقات جيدة بين العراق وايران وبلاد المغرب[59] ، وكانت سياسة الدولة الفاطمية سياسة متزنة مع الاسواق الشرقية والغربية فسمحت للتجار الايطاليين وغيرهم من الاوربيين بأنشاء الفنادق الخاصة بهم في الموانئ الهامة مستمتعين بكل حريتهم وكأنهم في بلادهم[60] ،اما نظم المعاملات التجارية فلم تكن موحده في الدولة الاسلامية ففي مصر والشام شاع استعمال الدنانير الذهبية ، اما في بلاد الفرس والعراق فكانت الدراهم الفضية[61] واستمر الدينار في مصر حتى بعد الفتح الفاطمي الى ان سك جوهر دنانير جديدة سماها المعزية ، وأبقى التعامل بالدينار الراضي (نسبة الى الخليفة العباسي الراضي[62])

المبحث الثالث :توجه القوات النورية الى مصر

1- الحملة النورية الاولى على مصر

كان نور الدين محمود يدرك ما تعنيه مصر بالنسبة للصليبيين ومحاولاتهم في السيطرة عليها وخاصة ما قام به بلدوين الثالث ملك بيت المقدس واجبر اهلها على دفع ضريبة سنوية قيمتها مائة وستون الف دينار ، وعندما حاول الصليبيون الامتناع عن دفع تلك الضريبة توجه اليهم الملك عموري الاول ملك بيت المقدس بحملة كبرى لغزو البلاد سنة 558هـ/1163م واستهدف في حملته مناطق الساحل الشرقي لمصر ولكن الفيضانات التي وقعت في ذلك الوقت منعته من عبور النيل فعاد الى بلاده[63]وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها مصر، قرر نور الدين التوجه بعد ان استنجد به الوزير شاور في نفس السنة التي توجه فيها عموري الاول اليها[64]،بعد الصراع الذي دار بينه وبين الوزير ضرغام، وأنتصار الاخير عليه، فطلب شاور النجدة من نور الدين لمساعدته على ان يتنازل له عن ثلث خراج مصر سنوياً، وكذلك يدفع لنور الدين كل تكاليف الحملة من لحظة خروجها من بلاد الشام الى لحظة عودتها[65]وفي حقيقة الامر ان نورالدين لم يكن بحاجة الى كل تلك الاغراءات فهو ادرى الموجودين بأهمية مصر وما تشكله من استراتيجية في سبيل الوحدة الاسلامية وهو ماكان يعمل من اجل تحقيقه في كل الخطوات السابقة من ضم دمشق وغيرها الى حاضرة دولته، وعندما كان يفكر بالامر كان يجول في باله امران:

1- الرغبة في توسيع سلطانة ،وما يؤديه ذلك من قوة له ولجيشه في سبيل الجهاد الذي اصبح همه الوحيد.
2- تخوفه من مخاطر الطريق على قواته ،نتيجة وجود القوات الصليبية بينه وبين مصر وبعد ان حدثت هذه التطورات من استنجاد شاور ،واهمية مصر بالنسبة للوحدة الاسلامية قام نور الدين بعقد مجلس ضم قادته وامراءه وطرح عليهم الامر ، فكان القرار بالتوجه الى مصر ، وتسمية اسد الدين شيركوة قائداً للحملة وصاحبه صلاح الدين[66]، وكانت هذه الحملة للوقوف على مجريات الامور والاطلاع عليها عن قرب ويظهر ذلك لنا في ما قاله نور الدين لقائده اسد الدين شيركوه عندما جهزه قائلاً (قضاء للحق الوافد المستصرخ، وحبساً للبلاد، وتطلعاً الى احوالها[67]) وتوجهت

الحملة شرقي الكرك والشوبك ومنها الى القاهرة[68]،وحال وصول القوات النورية الى اسوار القاهره حدث الصدام بين القوتين التي ادت الى هزيمة الوزير ضرغام وقتله، وتم اعادة الوزير شاور الى منصبه كوزير في الخلافة الفاطمية ، وبقى اسد الدين خارج اسوار القاهرة منتظراً تحقيق الاتفاق الذي ابرم مع الوزير شاور ولكن شاور غدر بالاتفاق وطالب اسد الدين شيركوه بالرجوع الى بلاد الشام وترك مصر[69]،وعلى اثر الاخلال بالاتفاق الذي كان بينهم توجه اسد الدين الى بلبيس وسيطر عليها ،واصبح يبسط سيطرته على الاقاليم الشرقية لمصر[70]، ورغم كل المحاولات التي قام بها شاور للتخلص من اسد الدين الا انه لم يستطع، فراسل ملك بيت المقدس عموري الاول طالباً مساعدته في الخلاص من قوات نور الدين[71]، وكما قلنا سابقاً عن نور الدين في أنه لم يكن بحاجة الى اغراء من اجل التوجه الى مصر من خلال ما قدمه الوزير شاور ، فالأمر ينطبق على ملك بيت المقدس عموري الاول فهو يعلم ما تعنيه سيطرة نور الدين على مصر من تهديد للوجود الصليبي من جهة ، واماله في السيطرة من جهة اخرى فسار على وجه السرعة بقواته الى مصر وسار الملك عموري الاول وشاور الى بلبيس حيث وجود قوات اسد الدين وفرضوا حصارهم على المدينة مدة ثلاثة اشهر ووقفوا عاجزين عن دخولها[72]، واثناء حصارهم لقوات اسد الدين وصلت الاخبار في بلاد الشام عن الانتصارات التي حققتها قوات نور الدين في حارم وبانياس ،الامر الذي ادى الى بث الرعب في نفس ملك بيت المقدس فقرر على الفور الصلح مع اسد الدين وعاد الاثنان الى بلادهم[73] ،وتعد هذه الحملة ذات اهمية كبيرة لكونها تعرفت على اوضاع مصر الداخلية وما تعانيه من فتن واضطرابات ،وبالرغم من تعرضها للمتاعب نتيجة لخيانة الوزير شاور .

الحملة النورية الثانية

توجه الملك عموري الاول الى مدينة طرابلس بعد عودته من مصر وأعلن الوصاية عليها، بعد وصول اخبار الهزيمة التي تعرضت لها قواته على يد نور الدين في حارم واسر اميرها[74]، بعدها سار الى انطاكية التي فقدت اعداداً كبيرةً من جيشها واميرها في هذه الموقعة ،ونتيجة لهذه التطورات طلب ملك بيت المقدس عقد الصلح مع نور الدين وكان من نتيجة هذه المفاوضات اطلاق سراح بوهمند الثالث اميراً انطاكياً[75]، واغضب تواجد الملك عموري الاول في انطاكيا الامبراطور البيزنطي الذي ارسل اليه

من يجبره على مغادرة البلاد [76]، وفي محاولة من الملك عموري الاول التحالف مع الامبراطور البيزنطي قام بأرسال وفد الى القسطنطينية يطلب مساعدته في السيطرة على مصر[77]،وفي هذه الاثناء ارسل الخليفة العاضد مستنجداً بنور الدين محمود من ظلم شاور[78]، فالوزير شاور عاد الى عادته في ظلم الناس والتنكيل بهم ومصادرة املاكهم بعد خروج الحملة النورية الاولى من مصر، ولم يتبق للعاضد امراً ولا نهيا مع شاور[79]، وعلى الفور استجاب نور الدين للطلب وبدأ بتجهيز الحملة وارسل معه اعداداً من الامراء كان في مقدمتهم صلاح الدين[80] تطرقنا سابقاً بأن نور الدين كانت له رغبة كبيرة في ضم مصر الى الوحدة الاسلامية ، وخاصة بعد ان شاهد على قرب اوضاع مصر في الداخل في الحملة الاولى عليها ، وكذلك الانتقام من شاور بعد غدره بالقوات النورية ، ومن اجل ايهام القوات الصليبية بتحركات القوات الاسلامية، وعدم احساسها بما يجري بعث نور الدين الى قطب الدين أتابك الموصل طالباً مساعدته في مهاجمة املاك الصليبين، وبعد ورود انباء تحرك القوات الاسلامية الى شاور، سارع الى الارسال بطلب المساعدة من ملك بيت المقدس عموري الاول الذي استجاب بسرعة وأعد جيشا كبيرا وسار به الى مصر [81]، وكان تحرك عموري الاول الى مصر طمعه في السيطرة على مصر من جهة ، وتخوفه من سيطرة القوات النورية لها(وعلموا ان ملكها نور الدين واستضافتها الى البلاد الشامية لم يبق لهم ببيت المقدس والشام مقام وانه يستاصلهم وتصير بلادهم في وسط بلاده[82]) واستطاعت القوات الاسلامية عبور نهر النيل والوصول الى الضفة الغربية ،قبل وصول القوات الصليبية التي كان بانتظارها شاور بنفسه [83] ، وعند وصول اسد الدين شيركوة رأى ان مكان قواته غير مناسب وقد يعرضها للخطر عند ملاقاتها للقوات الصليبية والقوات المتحالفة معها قرر التوجة الى الصعيد وفي البابين التقى الجانبان في معركة حاسمة انتصرت فيها القوات النورية على القوات الصليبية وقوات شاور[84]،وتكبدت القوات الصلبية خسائر جسيمة ووقع عدد كبير من فرسانهم بين قتيل واسير وكان من بين الاسرى هيو صاحب قيساريه ،مما اجبر القوات المتحالفة الى الرجوع الى القاهرة[85] ،وذكر لنا ابو شامة بأن شيركوه قام بتقسيم جيشه الى قسمين:-

القسم الاول كان يقوده بنفسه والثاني كان بقيادة صلاح الدين وتعرض القسم الذي كان يقوده صلاح الدين الى ضغط شديد من القوات الصليبية فأنسحب امامهم على ضوء الخطة المعدة سلفاً، ويقول ابو شامة (فحينئذ حمل اسد الدين ومن معه على من تخلف من

الفرنج الذين حملوا على المسلمين فهزموهم فوضع السيف فيهم فأثخن واكثر القتل والاسر، وانهزم الباقون فلما عاد الفرنج رأوا مكان اصحابهم بلقحاً ليس بها منهم ديار فانهزموا أيضاً[86])وقتل منهم اعداد كبيرة تقدر بالالاف وتم اسر سبعين منهم[87]،على أثر ذلك النصر وجه شيركوه قواته الى الصعيد لجمع الخراج، وترك ابن اخية صلاح الدين في الاسكندرية[88]، وكان توجه اسد الدين شيركوه الى الاسكندرية لاسباب منها معارضة هذه المدينة لسياسة الحكومة في القاهرة وخصوصاً في العهد الاخير الحكم الفاطمي[89] ،وفيها انشئت اول مدرسة شافعيه في عهد وزارة ابن السلار[90]،وانظم الى شيركوه عدد من القبائل[91]،وعلى اثر تلك التطورات قام شاور بجمع قواته وعقد العزم على حصار الاسكندرية[92] ،وما ان وصلت اخبار تحرك شاور الى مسامع صلاح الدين ارسل بطلب عمه اسد الدين شيركوة للعودة بسرعة الى المدينة فعاد مسرعاً وقد انظم اليه عدد كبير من المقاتلين المتطوعة[93]،وعندما رأى شاور قوة اسد الدين واعداد جيشه سقط في يده وتأكد انه ليس له قبل بمهاجمته فعرض عليه الصلح ،على ان يدفع له خمسين الف دينار ، وتم الاتفاق على ان تغادر القوتان الصليبية والاسلامية مصر[94]،وكعادته في الغدر فقد قام شاور بالاتفاق مع الصليبيين بإبقاء حامية صليبية لحراسة ابواب القاهرة من القوات النورية ودفع لهم مبلغا قدرة مائة الف دينار سنوياً[95] ،وبناء على هذا الاتفاق عاد اسد الدين شيركوة وعموري الاول الى بلاد الشام وبدأ من هذا الوقت نجم صلاح الدين في الظهور بعد ما امتلكه من خبرة في القتال من البابين والاسكندرية.

3- الحملة النورية الثالثة

في ضوء الاتفاق الذي تم بين عموري الاول وشاور في ترك حاميه في مصر لحراسة القاهرة، واراد عموري الاول اكثر من ما اتفق عليه وقام في عام 564هـ/ 1169م بتجهيز قوة كبيرة لغزو مصر محاولاً ايهام القوات الاسلامية بأنه يريد غزو حمص[96] وبذل شاور كل جهوده في ثني عموري الاول عن غزو مصر ولكنه لم يفلح ، فسار عموري الاول وسيطر على بلبيس رغم المقاومة الكبيرة التي ابداها اهل هذه المنطقة[97] ،وارتكب الصليبيون مجازر كبيرة في هذه المدينة ولم يفرقوا بين رجل وامرأة او شيخ وخربوا كل ما استطاعوا تخريبه من مدنها وارياقها[98] مكث الصليبيون منه ثلاث ايام واتخذوها قاعدة للعمليات اللاحقة[99]،وقد بذل المصريون كل ما يستطيعون من احياء المقاومة ومنع الصليبيين من دخول مصر حتى وان كان على حساب حياتهم[100] واقدم شاور على خرق الفسطاط وبعد ان رأى تصميم الصليبيين على

احتلال القاهرة[101]، ارسل وفدا الى عموري الاول عارضاً عليه التفاوض وابدى عموري موافقته على عرض شاور على ان يدفع له مائة الف دينار يدفع نصفها الان والنصف الاخر يتفق الطرفان على وقت تسديده، وافق شاور على ذلك رغم ان المبلغ كان كبيراً وارسل مائة الف دينار الى عموري الاول والذي قام بمغادرة القاهرة الى مكان قريب[102]، وبعد وصول هذه الاخبار الى نور الدين امر قائدة اسد الدين شيركوة بالاستعداد[103] للتوجه الى القاهرة ،وفي هذه الظروف وصلت رسل الخليفة الفاطمي الى نور الدين طالبه النجدة[104]، وعارضاً ثلث خراج مصر وان يقيم شيركوة في عسكره وله اقطاع خارجاً عن الثلث الذي تم اعطاؤه لنور الدين[105] ، وبطبيعة الحال فنورالدين لم يكن محتاجاً لهذه الاغراءات فهو على علم بأن سيطرة الصليبيين على مصر سيضرب مشروع الوحدة الاسلامية بالصميم. وهذا ما قاله في كلامه (اننا اذا اهملنا امرها ملكها الفرنج، ولا يبقى معهم مقام بالشام ولا غيره [106]) وفاقت اعداد هذه الحملة ما سبقها من حملات فقد بلغ عدد الجيش ستة الاف فارس ومائتي الف دينار[107]،ومنح كل فارس عشرين دينار كمساعدة لهم، وسار صلاح الدين مع عمه اسد الدين[108] ،وعلى ما يبدو بان صلاح الدين قد فرض نفسه كقائد كفوء وخاصة بعد معركة البابين وحصار الاسكندرية، وسارت القوات الاسلامية سنة 564هـ/1169م الى مصر[109] ،وما ان وصلت الاخبار الى القوات الصليبية بقدوم القوات النورية حتى دب الذعر بين صفوفهم وغادرو مصر ليدخلها اسد الدين بقواته وسط مظاهر الفرح والابتهاج واستقبلهم الخليفة الفاطمي العاضد بكل الترحيب واجرى للعساكر(الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة[110]) وابدى شاور سعادته بقدوم اسد الدين شيركوة وصلاح الدين وقواتهم محاولة منه لكسب ودهم بعد ان تأكد انه لا يستطيع ان يمنع عطاء ومنح الخليفة الفاطمي العاضد لوجود قوات كبيرة خارجالبلد[111]) وبعد فترة عاد الى ما كان عليه من خداع وغدر فأخذ يماطل في تنفيذ ما وعد به الخليفة العاضد لنور الدين[112] ،مما ادى في النهاية الى قناعة صلاح الدين بأن شاور لا يمكن ان يوثق فيه وانه سوف يعود الى الغدر كلما سنحت له الفرصة وعليه قرر التخلص منه بعد استشارة عدد من الامراء وكان ذلك عام 564هـ فتم القبض عليه وقتله[113] وتطرق ابو شامة الى تلك الحادثة بقوله (اتفق ان اسد الدين سار بعض الايام الى زيارة قبر الشيخ الشافعي وقصد شاور عسكره على عادته للاجتماع به ،فلقيه صلاح الدين وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العسكر فخدعوه واعلموه ان اسد الدين في الزيارة فقام اليه فسار وهما معه قليلاً ثم ساوروه والقوه عن فرسه فهرب اصحابه

واخذ اسيراً ولم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين ، فعلم اسد الدين الحال فعاد مسرعاً ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وارسل العاضد لدين الله صاحب مصر في نفس الوقت الى اسد الدين يطلب منه رأس شاور ويحثه على قتله وتابع الرسل بذلك فقتل شاور في يومه[114]) بينما يذكر لنا ابن واصل ان قتل شاور جاء على اعقاب كشف مؤامرة دبرت لاغتيال اسد الدين فيقول(كان شاور قد عزم على ان يعمل دعوة لاسد الدين ومن معه من الامراء ويقبض عليهم فيها[115]) .

وهكذا طويت صفحة شاور بما فيها من تلاعب بمقدرات مصر والقفز من احضان الصليبيين تارة الى احضان نور الدين تارة .

وصدر امر الخليفة العاضد بتعيين اسد الدين وزيراً ولقب بالملك المنصور[116] وسار اسد الدين سيرة صالحة في مصر اساسها العدل والمساواة بين السكان الامر الذي جعل الناس تحبه وتقترب منه بسبب ما عانوه على ايدي من سبقه من الوزراء والمطالبة المالية التي ارهقتهم[117] ، ولم يعمر اسد الدين بعد السيطرة على مصر فقد وافاه الاجل في سنة 564هـ/1169م[118]،وقد كانت فترة حكمة قصيرة فلم تستمر سوى شهرين وخمسة ايام ،ورغم كون فترة حكمة هذه الا انه حظي باحترام الناس وتقديرهم، وكانت هيبته كبيرة في نفوسهم ،وكان يدرك ان السيطرة على مصر ذات اهمية استراتيجية وخطوة مهمة في تحرير مصر ،وعمل على هذا الهدف طيلة عمره، بعد وفاة اسد الدين اصدر الخليفة الفاطمي بتعيين صلاح الدين بدلاً عنه[119]، وقد ذكر لنا ابن الاثير هذا الاختيار بقولة (وكان الذي حمله على ذلك ان اصحابه قالوا له :ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سناً من يوسف والرأي ان يولى فأنه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع من يستميلهم الينا، فيصير عندنا من الجنود من تسمح بهم البلاد ثم نأخذ يوسف او نخرجه[120]) بينما يذكر لنا البنداري رأي اخر في توليه صلاح الدين فيقول(فأجتمعت الامراء النورية على كلمة واحده وايد متساعده وعقدوا لصلاح الدين[121]) فيما يذكر لنا ابن تغري بردي ان شيركوة اوصى قبل وفاته بالوزارة لصلاح الدين[122]،على اننا نميل الى قول سبط ابن الجوزي(فبادر العاضد وأستدعى صلاح الدين وخلع عليه في الايوان خلعة الوزارة وكتب عهده كما فعل بأسد الدين ولقبه الملك الناصر[123]).

المبحث الرابع :ضم مصرالى الوحدة الاسلامية

بعد كل الذي جرى في مصر، كان على نور الدين ان ينتهج سياسة جديدة تشمل جميع المؤسسات بما يتلاءم والمرحلة الجديدة والتوجه الجهادي لتحقيق الوحدة الاسلامية، وضم جميع المدن الاسلامية من اجل هذه الوحدة ،وأوعز الى قائده صلاح الدين العمل على هذا الاساس مع عدم اراقة دماء المسلمين ،الا ان ذلك لن يتحقق ما دام هناك من يقف في وجه هذه الوحدة ،وخاصة من كان مستفيداً من الوضع السابق في مصر مما ادى في نهاية الامر الى استخدام القوة ، وهذا ما حدث عندما اقدم مؤتمن الخلافة جوهر الطوشي الذي كان المتحكم في قصر العاضد وخطط للقضاء على صلاح الدين[124] بالتعاون مع الصليبيين[125]، الا ان مؤامراته تم كشفها وتم القبض عليه وتصفيته [126]، وقد ثارت ثائرة الجند السودان لمقتله ودارت معركة كبرى بين الجانبين انتصر فيها صلاح الدين وفرض الامن في البلاد بالقوة[127] ،ويذكر ان عدد السودان الذين قاتلوا صلاح الدين خمسين الفاً فقاتلهم صلاح الدين لمدة يومين حيث قتل اعدادا كبيرة منهم[128] ، وقد ادت هذه الانتصارات الى غضب الصليبيين مما جعلهم يستنجدون بأوربا لإرسال المساعدة لهم[129] ، وفي هذا المجال يقول ابن الاثير (ان فرنج الساحل قد ايقنوا بالهلاك ،لما ملك اسد الدين مصر ، فكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرهما يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك وانهم خائفون على بيت المقدس من المسلمين وارسلوا جماعة من القسسة والرهبان يحرضون الناس على الحركة[130]) ، وفور وصول المناشدات الى الامبراطور البيزنطي استجاب وارسل حملة بحرية الى مصر لمساعدتهم[131]واتفق الامبراطور البيزنطي مع ملك بيت المقدس عموري الاول للقاء في دمياط، وقام ملك بيت المقدس بتجهيز حملة برية ليطبق الاثنان براً وبحراً على دمياط[132] وادرك صلاح الدين ما يدور حوله فارسل على وجه السرعة التعزيزات الى دمياط وبلبيس وارسل الى نور الدين يطلب المساعدة بقوله (اني ان تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج، وان سرت اليها خلفني المصريون في اهلها واموالها بالشر وخرجوا عن طاعتي وساروا في اثري والفرنج من امامي فلا تبقى لنا باقية[133]) وما ان وصل استنجاد صلاح الدين الى نور الدين قام بأرسال قطب الدين خسروا الهذباني بقوة كبيرة لنجدة صلاح الدين[134] ،ومن اجل ان يشتت جهد الصليبيين قام نور الدين بالهجوم على قلاعهم ومدنهم واستهدف الحصون لبث الرعب والخوف فيهم[135] واستمر حصار القوات الصليبية خمسين يوماً

انسحبت بعدها القوات راجعة الى بلادها بعد توارد الانباء بما تكبدته قواتهم في بلاد الشام على يد نور الدين اضف الى ذلك المقاومة العنيفة التي تصدى بها اهل دمياط لهم[136]، وبفشل هذه الحملة اصبح موقف نور الدين قوياً في تغيير الاحداث السياسية فسمح له مواصلة سياسته الهادفة الى توحيد الجبهة الاسلامية ضد الصليبين ،وبعد استقرار الوضع في مصر طلب صلاح الدين من نور الدين ارسال والده ايوب الى مصر، وقام نورالدين بارسال رساله مع والد صلاح الدين يطلب منه الغاء الخلافة الفاطمية من مصر، واعلان الخلافة العباسية [137] ، ويذكر ان الخليفة العباسي المستنجد بالله (555هـ_556هـ)(1160م-1161م) الذي تميز عهده بالاستقرار وخاصة الاوضاع الداخلية في بغداد وغيرها من مدن العراق ، بسبب السياسة الحازمة التي اتبعها في الضرب على ايدي المعتدين ، والغى الكثير من الضرائب التي كانت مفروضة على ابناء الشعب من قبل السلاطين السلاجقة ونوابهم في العراق[138] ،ارسل الى نور الدين يلح عليه بأقامة الدعوة له في مصر[139] ، وسار نجم الدين ايوب في قافلة ضمت عدداً كبيراً من التجار واصحاب الحرف وقام نور الدين بالهجوم على حصن الكرك لاشتغال الصليبيين عن هذه القافلة حتى تتجاوزهم الى مصر[140] وفي سنة(566هـ) توفي اخو نور الدين قطب الدين مودود فتوجه خوفآ من وقوع الفتنه في الموصل وحاول سيف الدين سد الابواب بوجه ينور الدين الا ان معارضة كبار الامراء وأهالي المدينة كانوا مع نور الدين[141] ،وعند دخوله الى المدينة قام بعدد من الاجراءات منها دفع الضرائب والمكوس ،وتعيين اسد الدين كمشتكين احد مماليكه والياً لقلعتها، وفرض على ابن اخيه سيف الدين ان يستشيره ولا يخالفه ثم رجع الى حلب[142] وكان صلاح الدين يتحين الفرص من اجل انهاء الخلافة الفاطمية الا انه كثيراً ما كان يتردد في ذلك خوفاً من اراقة دماء المسلمين[143] ،الا ان نور الدين كان يلح عليه من اجل قطع الخطبة الفاطمية واعلان الخلافة العباسية[144] ،وكان نورالدين يصر على تنفيذ امره من اجل اكمال الوحدة الاسلامية ضد الغزو الصليبي ونتيجة لتلك الضغوط قرر صلاح الدين عقد مجلس استشاري ضم والده وعددا من مستشاريه لأخذ آرائهم في كيفية البت في الامر ، فكان القرار ان يتم انهاء الخلافة الفاطمية بدون علم الخليفة العاضد ،وصدرت الاوامر الى خطباء المساجد في مصر بإعلان الخطبة للخليفة العباسي المستضئ بالله (556هـ-575هـ) فخافوا ذلك، ولم يتجرأ احدمنه على فعل ذلك[145]،وفي الاول من محرم سنة 567هـ صعد الى المنبر متصوف قدم من الموصل فذكر اسم الخليفة العباسي دون اسم

الخليفة الفاطمي، فلم يعترض احد على ذلك[146] ،وبعد ذلك توفي الخليفة الفاطمي العاضد ،فحل صلاح الدين مديراً للديار المصرية ، وقام بإرسال البشرى الى نور الدين ،الخليفة العباسي[147] وهكذا حصل ما كان يصبوا اليه نور الدين وقائده صلاح الدين في هدفهم الوحدوي ،ليكون الهدف الاستراتيجي الكبير الا وهو تحرير بيت المقدس وطرد الغزاة الصليبيين من المدن الاسلامية .

الخاتمة

تناولت في هذا البحث اهمية مصر في الحروب الصليبية وقد تناولت في عدة مباحث:

وقد استنتجت الامور التالية.

1- الصراع الذي كان سائداً في مصر قبل الحروب الصليبية بين الوزراء قد ادى الى ضعف الخلافة الفاطمية .

2- الامر الاكثر خطورة هو الاستعانة بأطراف خارجية ادت في نهاية المطاف الى تدخل هذه الاطراف في الامور الداخلية .

3- كانت مصر غنية بمواردها الزراعية والتجارية ،في العهد الفاطمي الاول الا انها كانت تعاني بين الفترة والاخرى حالات من التراجع سبب تأثرها بزيادة منسوب نهر النيل او نقصانة .

4- اما في السنوات الاخيرة فقد بددت الاموال بسبب الحروب والنزاعات والمؤامرات بين الوزراء الذي ادى في النهاية الى مجاعات متتالية في مصر ادى الى كره الشعب للوزراء والوضع القائم .

5- كانت الحملات التي قام بها الملك عموري الاول ملك بيت المقدس ونور الدين محمود للسيطرة على مصر هي للاهمية الستراتيجية والاقتصادية ودوها في المنطقة .

الهوامش

1- ابن الاثير :ابو الحسن علي بن محمد ت(630هـ) الكامل في التاريخ ،مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان، ط8، 1967، 115./8

2- المقريزي :ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ،اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ،مؤسسة دار البحرين، القاهرة ،د- ط ،1967 ،195/2

3-المقريزي:اتعاظ الحنفاء ،191/2 .

4- ابن الاثير الكامل في التاريخ ،115/8

5- ابن ميسر :محمد بن علي (ت 673هـ)اخبار مصر ،مطبعة العلمي، مصر، 1919،ص.13

6- المقريزي :اتعاظ الحنفاء ،265/2
7-ابن القلانسي: ابو علي حمزه بن اسد بن علي بن محمد (ت555هـ) ذيل تاريخ دمشق مطبعة الاباء اليسوعيين ،بيروت ،1908، ص95.
8-المقريزي: اتعاظ الحنفاء ، 271/2
9-حسن ابراهيم :تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثالثة، 1964، ص 179-180
10-ابن خلكان:ابو العباس شهاب الدين حمد بن ابي بكر، ت(681هـ) وفيات الاعيان وانباء وابناء الزمان ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر ،بيروت ،230/5
11-المقريزي: اغاثة الامة بكشف الغمة ،دار الهلال ، ص 18
12- وفيات الاعيان 23/5
13-ابن تغري بردي:جمال الدين ابو المحاسن يوسف(ت874هـ)النجوم الزاهرة وملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية للطباعة ،مصر ،80/5
14-ابن كثير :ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ)البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ،ط 5، 1983، البداية والنهاية ، 105/12،ابن ياس بدائع الزهور ، 60/1 ،السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن(911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، مصر ، ط1,1984، ص 42
15-اتعاظ الحنفاء ،279/2
16-المقريزي: اتعاظ الحنفاء ،279/2
17-ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن(ت597هـ) المنتظم في التاريخ الملوك والامم، دار صادر ، بيروت ،ط1، 1358ه، المنتظم 118/16
18-ابن خلكان: وفيات الاعيان ،203/5
19-سبط ابن الجوزي :شمس الدين ابو المظفر يوسف (ت654ه)مرأه الزمان في تاريخ الاعيان، دار المعارف العثمانية، حيدر اياد الركن،الهند،ط6، 1951، 20/6
20-المقريزي: اغاثة الامة بكشف الغمة ،ص .57
21-المقريزي:اتعاظ الحنفاء ،113/2ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة 24/5-25
22-هو الامير بدر بن عبدالله الجمالي ،ارمني الاصل ، وكان مملوكاً بجمال الدين بن عمار احد ولاة الشام ،الصيرفي :ابن منجب الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق: عبدالله مخلص ،القاهرة ،1924، ص35، المقريزي :المقفى الكبير، تحقيق: محمد العجلاوي ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 1991، 394/2. السيوطي: حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ،مطبعة الموسوعات ،مصر،2/ 2-4
23-ابن خلكان: وفيات الاعيان ،230/5 ، الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ) تاريخ الاسلام ،1تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط1، 1987/26-27
24-المقريزي :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،مكتبة الثقافة العربية،القاهرة،1270، 304/2
25- المقريزي :اتعاظ الحنفاء، 212/2 ،
26-تاريخ ص 67-68 ،الذهبي :تاريخ الاسلام 15/2

27-ابن خلدون:عبد الرحمن بن حمد(ت808ه) تاريخ ابن خلدون ،مؤسسة الاعلمي، بيروت ،لبنان، 1971، تاريخ ،66/4،ابن ميسر ،تاريخ مصر ،62/2

28-ابن ميسر :تاريخ مصر ،ص 36-37 ، د.صابر محمد ذياب :سياسة الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي ،ص 249

29- سبط ابن الجوزي : مرأة الزمان 20/28، ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة،142/5-143

30- النجوم الزاهرة ،142/5

31- المقريزي الخطط،80/2-83

32-ابو يوسف :يعقوب بن ابراهيم (ت182ه) كتاب الخراج ،دار السلام للطباعة والنشر، تونس ،ط1، 1965، الخراج ،ص18

33- المقريزي:الخطط ،2-100

34-المقريزي:الخطط، 2-83

35- المقريزي: الخطط، 2-59

36-القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت821ه) صبحي الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية ،القاهرة ،1963 ، صبحي الاعشى 305/3 /306

37-المقريزي: الخطط، 100/2

38- متز:ادم،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،نقلة الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريدة، القاهرة ،1941، الحضارة الاسلامية،2-296

39-المقريزي :الخطط،226/1

40-متز: الحضارة الاسلامية ،296/2

41- ابن ميسر:تاريخ مصر ،ص 43

42- ابن ميسر :تاريخ مصر ،ص 44

43- زكي :احمد ،صفحة من تاريخ التجارة المصرية ،القاهرة، مجلس المقتطف ، اذار، كانون الاول ، كنوز الفاطميين ،ص 198

44- الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر البصري(ت255ه) التبصر بالتجارة ، نشرة حسين عبد الوهاب ،القاهرة ،1931، التبصر بالتجارة ،ص41

45-المقريزي:خطط،367/1

46-ابن دقماق:ابراهيم بن محمد المصري(ت809ه)الانتصارلواسطة عقد الامصار

47-ناصر خسرو:(481ه) سفرنامة ترجمة يحيى الخشاب ،دار الكتاب الجديد، بيروت، 1970، كتاب سفرنامه ،151

48-المقريزي:الخطط،367/1

49-المقريزي:الخطط 368/1

50-المقدسي:ابو عبدالله حمد بن عبد الواحد بن احمد الحنبل (ت643ه) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر دي خوية ،لندن ،نيسان ،1906، احسن التقاسيم ص195-196

51-المقدسي: احسن التقاسيم ،ص 197

52-المقدسي :احسن التقاسيم،ص 203

53-المقريزي: الخطط ،367/1

54-حسن ابراهيم حسن :قيام الدولة الفاطمية من المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، ط3، 1964 ،الدولة الفاطمية ،602

55- ابن ميسر :تاريخ مصر،ص44

56-ابن ميسر :تاريخ مصر ،ص 706

57-المقريزي :الخطط ،367/1

58-ناصر خسرو: كتاب سفرنامه ،ص175

59-البكري:ابو عبدالله بن عبد العزيز(487ه)كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،باريس ، 1911، 47/30

60- ابن حوقل: المسالك والممالك ،ص 90-91

61- متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،316/3-328

62-ابن ميسر: تاريخ مصر ،46

63- رنسيمان: ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة السيد الباز العريني ،دار الثقافة ،بيروت، ط2، 1981، 592/2

64-ابن منقذ :مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد (ت584ه) كتاب الاعتبار، حررة فيليب حتي ، 1930، ص21، ابن كثير: البداية والنهاية ،12-266،ابن قاضي شهبه :الكواكب الدرية ،163-164

65-ابن الاثير:الكامل في التاريخ ،398/11،ابن واصل:جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سليم الشافعي، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق :جمال الدين الشيال ،القاهرة ،1953، 137/1-138

66-البنداري:قوام الدين الفتح بن علي، سنا البرق الشامي ،تحقيق: رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ط1، 1971 ، 19/1 ،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،347/5

67- ابن شداد: بهاء الدين ،ابو المحاسن يوسف بن رافع (ت630ه) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،او سيرة صلاح الدين ،تحقيق:جمال الدين الشيال ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط1، 1964 ، 36، ابو شامة الروضتين في اخبار الدولتين

68-ابن واصل: مفرج الكروب ، 138/1 ،ابن قاضي شهبة :الكواكب ،165

69-عمارة اليمني:ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي بن زيدان بن احمد المحكي (ت569ه) ،التكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية ،ص 77

70- ابن واصل :مفرج الكروب ،139/1

71-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،300/11

72- البنداري :سنا البرق الشامي ،19/1، ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،347/5

73- ابن الاثير:الباهر،121-122 ،ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين336/1

74-ابن واصل:مفرج الكروب، 140/1

75- العريني: السيد الباز ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، 673/1

76-رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،598/2

77- حسين مؤنس: نور الدين محمود ،ص297

78-سبط ابن الجوزي: مرأة الزمان ،268/8

79-ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،347/5-348
80-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، 324/11-326
81-ابن شداد:النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،ص37، ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية 169
82-ابن واصل: مفرج الكروب، 149/1
83-ابن الاثير: الباهر ،ص132، ابن قاضي شهبة :الكواكب الدرية ،169
84-ابن الاثير: الكامل، 214/11
85-ابن الاثير :الباهر، 132، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 349/5
86-الروضتين في اخبار الدولتين،365/2
87-ابن الاثير: الباهر، 133، ابن شداد: النوادر السلطانية ،38
88-ابن الاثير: الكامل ، 326/11 ،ابن واصل :مفرج الكروب ،151/1
89-ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،128
90-ابن خلكان :وفيات الاعيان،37/1
91- ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين ،426/1
92-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،326/11
93-ابن الاثير: الباهر، 133، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ،172
94- ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،326/11-327،ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،349/5
95-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، 327/11، ابن واصل: مفرج الكروب 152/1
96-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،235/11
97-ابن الاثير: الباهر ،138، ابو شامة:الروضتين في اخبار الدولتين ،390/1
98-ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين ،390/1، ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية ،175
99-ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين ،390/1
100-ابن الاثير:الكامل في التاريخ،221/11
101- سبط ابن الجوزي:مرأة الزمان ، 390/1
102- ابن الاثير-الكامل في التاريخ، 222/11 ، ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،390/1
103-ابن شداد: النوادر السلطانية:ص38
104-ابن العديم: زبده الحلب ،226/2
105-ابن الاثير :الكامل في التاريخ،223/11
106-ابن واصل :مفرج الكروب ،159/1-160
107-البنداري: سنا البرق الشامي ، 39/1-40
108-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،223/11، ابن العديم:كمال الدين ابن القاسم عمر بن احمد بن هبة الله الحلي (ت660ه) زبدة الحلب في تاريخ حلب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،226/2، 326/2
109-ابن شداد :النوادر السلطانية ، ص38-39
110-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،327/11، ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين ،396/1
111-ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين ،96/1، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 351/5
112- ابن الاثير : الكامل في التاريخ، 223/11، ابن شداد :النوادر السلطانية ،ص39

113- سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ،276/8، ابن واصل : مفرج الكروب،162/11
114- الروضتين في اخبار الدولتين ،397/1
115- مفرج الكروب:161/1
117-ابن شداد: النوادر السلطانية ،ص39-40، ابن الوردي::تاريخ ،106/2
118- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، 278/8
119- ابن الاثير: الباهر ،ص142،البنداري: تاريخ :سنا البرق الشامي، 42/1
120-الكامل في التاريخ ،226/11،
121-سنا البرق الشامي، 42/1
122-النجوم الزاهرة، 353/5
123-مرآة الزمان، 278/8-279
124-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،245/11-246، ابن كثير: البداية والنهاية، 276/12-277
125-البنداري: سنا البرق الشامي ،43/1، ابن واصل: مفرج الكروب،176/1
126-ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،450/1-451
127-ابن الاثير: الكامل في التاريخ، 246/11
128-ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ،ص184
129-رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، 634/2-635
130-ابن الاثير: الباهر،ص143، ابو شامه :الروضتين في اخبار الدولتين،456/1
131-ابن الاثير :الباهر، 143-144، ابن واصل: مفرج الكروب ،180/1
132- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، 231/11
133- ابن الاثير: الباهر،ص143، ابن كثير: البداية والنهاية، 279/12
134- ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،231/11، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص186
135- ابن الاثير :الكامل في التاريخ،231/11-232
136-البنداري: سنا البرق الشامي ،45/1
137- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، 232/11، الباهر، ص144
138- ابن الجوزي: المنتظم ،220/10
139- السيوطي: حسن المحاضرة ، 19/3
140- ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،232/11
141-ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، 232/11
142- ابن الاثير :الباهر ،156-157، ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين، 477/1
143-ابن الاثير: الباهر،ص156-157،ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص196
144- البنداري: سنا البرق الشامي، 51/1
145- ابن الاثير: الباهر، 156-157، ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين، 493/1
146- ابن الاثير :الكامل في التاريخ، 246/11
147- ابو شامة :الروضتين في اخبار الدولتين، 496/1

المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر

-ابن الاثير:ابو الحسن علي بن محمد (630هـ)
1-الكامل في التاريخ ،مطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ،ط8 ،1967 .
-ابن الجوزي:جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن(ت597هـ)
2-المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دار صادر، بيروت، ط1 ،1358
-ابن تغري بردي:جمال الدين ابو المحاسن يوسف(ت681هـ)
3-النجوم الزاهرة وملوك مصر والقاهرة ،المؤسسة المصرية للطباعة ،مصر
-ابن خلكان:ابو العباس شهاب الدين احمد بن ابي بكر(ت681هـ)
4-وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق:احسان عباس، دار صادر ،بيروت
-ابن خلدون :عبد الرحمن بن حمد(ت808هـ)
5-تاريخ ابن خلدون ،مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، 1971
-ابن دقماق: ابراهيم بن محمد المصري (ت809هـ)
6-الانتصار لواسطة عقد الامصار.
-ابن شداد: بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع(ت630هـ)
7-النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،او سيرة صلاح الدين ،تحقيق:جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1، 1964
-ابن العديم:كمال الدين ابن القاسم عمر بن احمد بن هبة الله(660هـ)
8-زبدة الحلب في تاريخ حلب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان
-ابن قاضي شهبة:ابو بكر بن احمد بن محمد بن عمر(ت851ه)
9-الكواكب الدرية
-ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)
10-البدايه والنهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت، ط5، 1983
-ابن منقذ: مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد(ت584هـ)
11-كتاب الاعتبار ،حرره في ليب حتي 1930
-ابن ميسر:محمد بن علي(ت673ه)
12-اخبار مصر ،مطبعة العلمي ،مصر، 1919
-ابن القلانسي:ابو علي حمزة بن اسد بن علي بن محمد (ت555ه)
13-ذيل تاريخ دمشق ،مطبعة الاباء اليسوعيين،بيروت،1908.
-ابن واصل:جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سليم الشافعي
14-مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق:جمال الدين الشيال ،القاهرة، 1953.
-البكري:ابو عبدالله بن عبد العزيز (ت487هـ)
15-كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،باريس ، 1911

-البنداري:قوام الدين الفتح بن علي
16-سنا البرق الشامي ،تحقيق:رمضان ششن ،دار الكتب الجديد ،بيروت ،ط1 ،1971 .
-الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت255هـ)
17-التبصر بالتجارة،نشرة حسين عبد الوهاب ،القاهرة، 1931.
-الذهبي:شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت748هـ)
18-تاريخ الاسلام،تحقيق:عمر عبد السلام التدمري ،دار الكتاب العربي، بيروت ،1987
-السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ)
19-تاريخ الخلفاء ،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ،مصر ،ط1 ،1984.
-القلقشندي: ابو العباس احمد(ت821هـ)
20-صبحي الاعشى في صناعة الانشى ،المؤسسة المصرية العامة.
-المقدسي:ابو عبدالله حمد بن عبد الواحد بن احمد الجمبلي (ت643هـ)
21-احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،نشر دي خويه ،لندن ،1906.
-المقريزي:ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي
22-اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء ،تحقيق جمال الدين الشيال، مؤسسة دار البحرين ، القاهرة ،1967 .
-رنسيمان:ستيفن
23-تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة السيد الباز العريني ،دار الثقافة ،بيروت،ط2 ،1981
-سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف(ت654هـ)
24-مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ،دارالمعارف العثمانية ،حيدر اياد الركن ،الهند،ط6، 1951
-عمارة اليمني: ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي بن زيدان بن احمد المحكي(ت569هـ)
25-التكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية
-متز:ادم
26-الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة، 1941
- ناصر خسرو: (ت481ه)
27-سفرنامه ترجمة يحيى الخشاب ،دار الكتاب الجديد ،بيروت، 1970

ثانياً: قائمة المراجع.

-العريني:السيد الباز
28-الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،مطبعة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1963
حسن :ابراهيم
29-تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ،مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثالثة، 1964

ABSRACT

In this research, it has been stated the importance of Egypt authorized by Fatimid Caliphate during Crusades War. It is worthily mentioning that writing in this subject is somehow difficult because it is related to political background .So it is preferable to write about Egypt before Fatimid Caliphate and before Crusades War. Here I can notice that no influential caliphate role, the only important role is in Jamalia State and this is clear politically, economically and in army. This weak caliphate role is similar to Abassi in Baghdad controlled by Buyids and Seljuk . This is clearly appeared in 466 H. At that time the effect of ministers is bigger than caliphs and the army generals are the real rulers of Muslim counties.

My research has been divided into four chapters.

First chapter. Clarifying the political struggle in Egypt before Crusades War and its bad result to the Islamic Nation and specifically in Sham.

Second chapter. Stating the economical importance of Egypt that seduce other countries to control it.

Third chapter. Mentioning the assault of (1st Ammori) the king of Jerusalem ,to Egypt. Shawer asks help from Noor AL.deen and finally the fall of Egypt,

Four chapter. Eliciting the unifying Egypt to Sham at the end of Fatimid Caliphate by Saladin Al.ayoubi.